الأحـــــــــــد 20-12- 2009

842- شبكة العلوم النفسية العربية، ومعركة أم درمان

تعتعة الوفد

لن يصحح الوضع العربي (المصرى/الجزائرى، كمثال) الذى كشفت عنه هذه الهيجة الإعلامية، والانتهازية السلطوية، بمناسبة مباراتى كرة قدم، لن يصححه، أو يداوى جروحه، تصالح دبلوماسى، أو وساطة حسنة النية، أو اعتذار رسمى أو شعبى، أو مباراة ودية، أو ترحيل سفير، أو تصريح رئيس.

ثم نور أحمر قد أضيء، وهو إنذار بالغ الدلالة يعلن مدى ما آل إليه حال كذب سلطاتنا واهتزازها حتى لتنتهز أية شرارة فتنفخ فيها حتى تصبح حريقا، وهى تتصور أنها بذلك تلهينا عن ما تفعل فينا، وعن ما نحن فيه، كما أنها أظهرت فى نفس الوقت مدى ما آل إليه حال وعى أغلبنا من تسطيح، وعن مدى استهداف عامة ناسنا لسهولة التهييج، وسذاجة الإلهاء.

لكن، والحق يقال، ما زال بيننا من يحافظ على يقظته، ويتحمل مسئوليته، ناقدا فاعلا، وهو يرفض أن يكون غاية موقفه هو أمل غامض أو حلم مستحيل. المثال الذى يشير إليه العنوان هو ما قام ويقوم به فريق عربى أصيل انطلاقا من عرب المغرب، من تونس الشقيقة، بقيادة إبن وصديق هو د. جمال التركى، الذى أرسى بجهود ذاتية مؤسسة مستقلة الإدارة، تلقائية الإبداع: هى الشبكة العربية للعلوم النفسية، ذلك العربى الذكى الكريم الأمين، حذق الأدوات الجديدة (أدوات ثورة التواصل والمعلوماتية)، وسخرها لما لا يمكن تحقيقة بجمعية، أو جامعة، أو وزارة، أو مؤسسة رسمية، وقد راح يواصل جهوده فردا، ثم مجوعة، ثم جماعة إلى ما يشاء الله، وهو يعلم تمام العلم أية صعوبات تنتظره، وأية مقاومة ترصده، وأية مغامرة تهدده، لكنهم واصلوا بمثابرة وإصرار، مع رفض كل التمويل المشبوه، والوصاية الخارجية، وإذا به يحقق فى الشهر الواحد، من تواصل وتعاون وحوار فيما بيننا نحن النفسيين العرب، ما لا يحققه مائة مؤتمر علمى، تُشد إليه الرحال، وتنفق عليه الأموال، ثم لا نخرج منه بحوار حقيقى مثمر، أو اختلاف إبداعى مثير، لكن - والشهادة لله - نخرج منه بقدر وافر من اللقاءات الإنسانية الاجتماعية الطيبة، التى

نحتاجها فعلا، بالإضافة إلى زخم من القبلات الحميمة، أغلبها حار وعربي خالص، ثم ننصرف ونحن غير مدركين تماما، والحمد لله والستر منه، حقيقة ما حدث من تحور في طريقة تفكيرنا لصالح ممولي المؤتمر، ولا ما سوف يدفعه مرضانا مقابل ما انحشر في أدمغتنا من معلومات (علمية) مشبوهة، مدفوعة الأجر.

نفس هذه الشركات الممولة لهذه المؤتمرات، ومثلها من شركات السلاح والبترول والاتصالات، هي التي تمثل مجموع ما هو "لوبي" يقرر سياسات الدول الكبرى، ويشعل الحروب الاستباقية، ويبرر الإبادة العرقية، ويؤسس للاحتكارات البترولية.

تعرفت على هذا الزميل الصديق صاحب الفضل الدكتور جمال التركي منذ ما يقرب من ثمان سنوات حين دعاني ممثلا لجمعية تونسية في صفاقس، لأتكلم بالعربية عن فكرى المصرى العربي في الطب النفسي، ودهشت فأنا لا أعرف كيف وصله أن هناك ما يتميز به هذا الفكر، وأغلبه غير منشور، خصوصا عند مؤسسات النشر إياها، وحين لقيت هناك من يتابع حركتنا أكثر منا، أخبرته والزملاء أنني بصدد أن أصدر بعض هذا الفكر في كتاب ثنائي اللغة (عربي/إنجليزي) لنقول لهم "إننا هنا"، وإن عندنا ما نضيفه لنا ولهم، وللإنسان، فأبدى استعداده هو والدكتور سليم عنابي وآخرين أن يضيفوا اللغة الفرنسية إلى هذا العمل الذي لم يتم بعد ليصبح ثلاثي اللغة، كان ذلك قبل أن تزدهر الشبكة العربية النفسية التي أسسها، لتقوم بكل ما تقوم به حتى الآن.

أنا لا أقدم هذه الشبكة لأنها نفسية، أو لأنها بدأت في المغرب العظيم الذي لا نعرف عنه ما يكفي هنا في المشرق، وإنما أنا أراها نموذجا لما يمكن أن يقوم به الناس متجاوزين السلطات والحكومات ليتكافلوا، ويتعارفوا، ويتعاونوا، ويضيفوا، ليس فقط لأوطانهم، وإنما للبشر كافة ما أمكن ذلك، النموذج المتمثل في هذه الشبكة وازدهاره يحتاج لموسوعة لتسجيل تاريخه، مما قد أعود إليه لاحقا، الرد الحقيقي على معركة أم درمان، هو التواصل الحقيقي بيننا وبين بعضنا دون إذن منهم، (نشرت اليوم في مكان آخر دعوة أن يدعوا أهل بلدي معي لفريق الجزائر بالنصر في كأس العالم، حتى المربع الذهبي على الأقل، أليس هو الفريق الذي يمثلني عربيا، أدعو له، حتى لو شمت فيّ لاعبوه، - كمصري- (الأقدر أجمل، والأنفع أمكث في الأرض!! ما رأيكم؟).

إن كنا نريد أن نتعلم مما حدث في ملعب الكرة في أم درمان، فعلينا أن نعرف أن الكرة الآن، أكثر من أي وقت مضى، في ملعب الناس، لا الحكومات، فلننتهز الفرصة مثلما فعل د.جمال التركي وصحبه، ونفعل ما نستطيع - نحن الناس- بأقل انتظار من عون رسمي، أو معونة خارجية، فهذا مشروط وذاك مشبوه، الإفادة الحقيقية مما جرى لا تكون بالعقاب والاستقالة وطلب الاعتذار والمقاطعة، بل تكون بالاقتحام إلى مزيد من تجاوز وصاية من يسخرونا لحسابهم، بممارسة مزيد من اللامركزية، واحترام كل جهد إيجابي في اتجاه تأكيد هويتنا

العربية عمليا، وعلى رأس ذلك هذا الكفاح الجزائرى الرائع لاستعادة لغته بمعونة المشرق الفرح بعودة لسان أخيه إليه، ومن ثم وعينا جميعا إلى بعضنا البعض، ننطلق من لغتنا نجددها لا نجمدها خوفا عليها، ليتشكل بها وعينا متميزا لخير سائر الناس.

وأخيرا أود أن أنبه أنه لا أحد غير العرب يهتم بتقدم العرب، بل لعل العكس هو الصحيح، وهو أن هناك الكثيرين جدا من غير العرب، يهتمون جدا بتخلف العرب، ليس لأنهم يكرهوننا فليس عندهم وقت لمثل هذه الانفعالات البدائية، ولكن لأن كثيرا منهم يتعاملون معنا باعتبار أننا

(أ) مصدر طاقة (البترول)

(ب) سوق رائجة (الاستهلاك)

(ج) ممول أبله (إيداع واستثمار أموالنا عندهم)،

وبالتالى فهم أحرص ما يكون أن نظل متخلفين، متنازعين، متعاركين، همجيين، بلهاء. الأرجح – والفضل لتفكيرى التآمرى – أنهم زرعوا إسرائيل فى بؤرة جغرافيتنا ليحققوا ذلك، ثم هاهم ينتقلون إلى زرع ما تمثله إسرائيل (الوجود الاستهلاكى، الرفاهياتى، المغترب) فى بؤرة وعينا.

وللحديث بقية.